الطبعة
4



محمد عبد الباري

لم يعد أزرقا



محمد عبد الباري

صدر له:

مرثية النار الأولى ٢٠١٣

كأنك لم ٢٠١٤

الأهلّة ٢٠١٦


لم يعد أزرقا
محمد عبد الباري

ح شركة دار تشكيل للنشر والتوزيع ، ١٤٤٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

عبدالباري ، محمد عبدالله
لم يعد أزرقا. / محمد عبدالله عبدالباري .- الرياض ، ١٤٤٢هـ
١٠٠ ص ؛ ..سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٣١٧-٢٣-٥

١- الشعر العربي - السودان أ.العنوان
ديوي ٨١١,٩٦٢٤ ١٤٤٢/٢٤٦٩

رقم الإيداع: ١٤٤٢/٢٤٦٩
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٣١٧-٢٣-٥

مخطوطة الغلاف:

أحمد مصطفى

Twitter: abuomar181

شكر خاص للفنان العالمي السوداني إبراهيم الصلحي الذي توّج هذا الديوان بلوحة الغلاف وبثلاثة أعمال أخرى في الداخل.









محمد عبد الباري



الطبعة الرابعة

٢٠٢١م

كُتب هذا الديوان في الفترة ما بين أغسطس ٢٠١٨ وفبراير ٢٠٢٠
في مدينة نيويورك.

الإهداء

إلى سلمى:
فعلت ما بوسعها هذه القصائد
ولكن لا هائلَ يكفي لوصف خساراتي فيكِ
إلا هائل الصمت قبل كل قصيدة وبعدها

فهرس الخسارات

هو/ هو

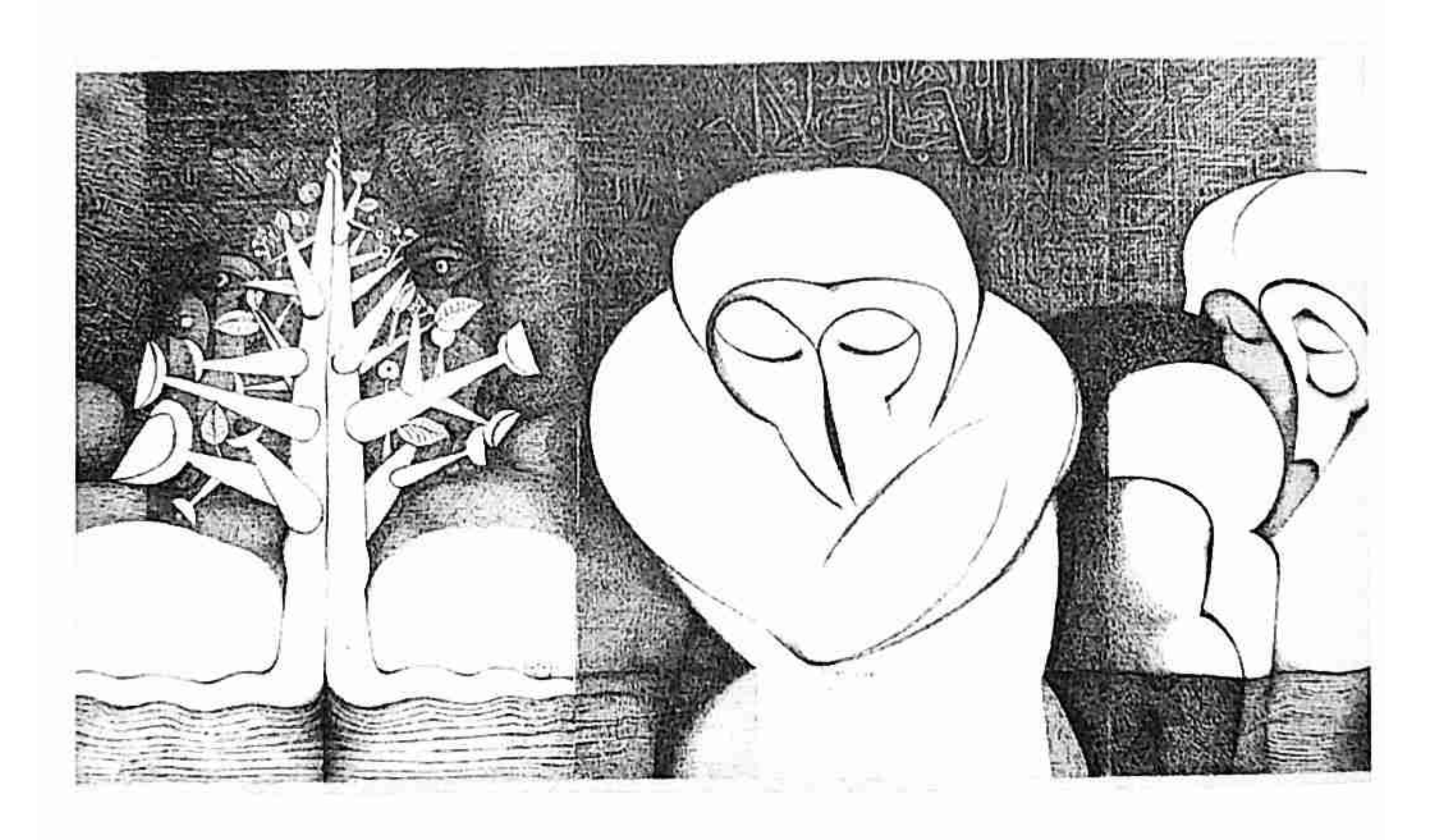
(أزرق يخسر عمقه)

هو/ هي

(أزرق يخسر علوّه)

هو/ هم
(أزرق يخسر سعته)

هو/هو
(أزرق يخسر عمقه)



النسخة الثانية من الغريب

«الغضبة: الصخرة الصلبة المركبة في الجبل المخالفة له»
لسان العرب

يا من عرفتُكَ
بالتماسُكِ مولعا
حريّةُ الجدرانِ أن تتصدّعا

ضاق المدى المكتوبُ باسمكَ
فلتكنْ أنتَ التشظي فيه كي يتوسعا

لك أن تدوّيَ غاضباً من عالمٍ أخفاكَ وليكن الدويَّ المفزعا

لك أن تعاودَ أنتَ تفجيرَ الطبيعةِ
إن بها فضّلتَ أنْ تتطبعا

أن تستقيلَ من التطابقِ:
نزعةً رأت الظلالُ لمثلها أن تنزعا

أن تَخلعَ الوادي المليء تواضعاً
أن تَلبسَ الجبلَ المليء ترّفعا

وتحرّكَ الزلزالَ
صوبَ الثابتِ الشبحيِّ في الأيامِ
كي يتزعزعا

وتزيلَ عنك من المياه سكونَها
وتفضّها مستنقعاً
مستنقعا

وتردَّ ميراثَ النسيمِ لأهله الفقراءِ
كي ترثَ الرياحَ الأربعا

***

يا عاتباً جداً على الطرقاتِ
إذ أخذتكَ منك مودِّعاً ومودَّعا

هو أنتَ من أسرى لشيءٍ لم يكن أبداً
وأنسابَ الفراغِ تَتبّعا

متداخلاً فيك الهدوءُ المنتمي لأسى الحقيقةِ
بالهدوءِ المدّعى:

شاهدتَ عمركَ
وهو يُرفعُ رايةً بيضاءَ
كم نزفتْ لكيلا تُرفعا

سُرقت خصوصياتُ وجهكَ كلُها
وتُركتَ ما بين الوجوهِ موزّعا

ومُنحتَ حين مُنحتَ
قفلاً لا فمًا متكلماً
وسلاسلاً لا أضلعا

وأُصبتَ وحدكَ بالرجوعِ
فلم تزل كالذكرياتِ تودُّ أن تُسترجعا

أُبعدتَ من سربِ الحمام مُطَمْأناً
وأُضفت في سربِ الحمام
مُروَّعا

ودُفنت في الغيبِ الذي لا لن يُرى أبداً
وفي السر الذي لن يُسمعا

وحُرمت من ثقةِ الينابيع
التي بين الصخورِ تجاسرتْ أن تنبعا

وجُعلت تخسرُ
ثم تخسرُ
حدَّ أن أصبحتَ في فنِّ الخسارةِ مرجعا

***

يا صاحب الساعات
صوتُ فنائها يدعوك
فلتذهب إليها مسرعا

قبلَ انتهاءِ الماء أعلنه انقلابَ الماء
كي يلدَ المصبُّ المنبعا

قاوم ضبابَ الروح فيكَ
وقل له لابدّ عني
الآن أن تتقشعا

قشّر تجاعيدَ النهار ليزدهي وجهاً
وحكَّ الليلَ حتى يلمعا

وأزل حدودكَ عن حدودك
كن هوىً في ممكنٍ للمستحيلِ تطلّعا

فيما يخصُّ شخوصكَ العشرين
دع منها المفاجئ يطرد المتوقعا

وأضف إليك من الزوايا حدّةً
حتى يصير الدائريُّ
مربّعا

واقتل رضاكَ
وبالتحررِ من أسى هذا الرضا لا تنسَ أن تستمتعا

فبغير هذا الأحمرِ الثوريّ في عينيكَ
لن تجدَ القصيدةُ مطلعا

اللوحة / المرآة

«الفن: العناء»
لسان العرب

عنوانُها (الغرُباتُ السبعُ)
أسفلُها: بحرٌ ويخشى بأن ينتابهُ البللُ

وفوق
في جزئها الأعلى:
تطيشُ بها دوائرٌ من دخانٍ ليس تكتملُ

في العمقِ منها تمامًا حيث تنتصفُ الأبعادُ:
مستنِدٌ في غيمةٍ جبلُ

على اليمين
وفي ليلينِ
من سهرٍ:
رملٌ بعدِّ مزايا الرملِ منشغلُ

على الشمال:
رماديّاً ومختنقاً
يفرُّ من ذكرياتٍ مُرّةٍ طللُ

في الخلف: لا شيء
خلف الخلف: ثمّ دمٌ مسافرٌ يقصدُ المعنى ولا يصلُ

مرافعة ضد الأمل

«التمنّي: الكذب»
لسان العرب

يا الله
الأبوابُ المفتوحةُ تُوصدُني
ساعدني كي أُوصدَها

الآتي منها لا يأتي
يرسلُ ظلاً
كي يلقاني أسفلَ وقتي
ويريني بضعَ سلالمَ لن أصعدَها

أنتظرُ الضيفَ المجهولَ
مكاني الكرسيُّ
-يمانعُ أن يتزحزحَ-
ثمّ زمانيٌ الليلةُ
-ترفضُ أن تدخلَ غدَها-

في الأسطورةِ:
فتحت (باندورا) الصندوقَ
فطارت منه شرورُ الأرضِ
وبعد محاولة ثالثةٍ
كادتْ أن تغلقه
لولا أنَّ الأملَ القابعَ في آخره أمسكَ يدَها

في الأمل الصفقةُ خاسرةٌ
من حيث أراني
أُفلِتُ أقربَ ما في القلبِ من الأسباب
لأمسكَ أبعدَها

في الأمل
المرئيُّ يهلّوسُ باللامرئيِّ
الواضحُ يحلفُ بالغامض
والمتوّهمُ ينتقصُ المحسوس
ببعضِ الأمل
بوسعك أن تعشقَ سيدةَ الجنِّ
وتجلسَ في مقهى الأبديّةِ
ترقبُ موعدَها

في الأملِ
يسوّي النسيانُ
الفرضيَّةَ بالواقعةِ
فيجعل كل شقيٍ محكومٍ بالمنأى في الجهتينِ
يسيرُ تجاهَ جسورٍ ما شيدّها

الأمل ثلاثُ مراحل:
أنْ تبدأ بنيانَ الحائطِ بالشبّاكِ
وأن تتوسطَ بين الموجودِ وبين المعدومِ
وأن تُنهيَ عمركَ
تحتَ خلاصةِ زيفٍ مزدوجٍ في معنى:
ألا تمتلكَ الأشياءَ
وتخشى أن تفقدَها

فشل تجربة صوفيّة

«صاف السهم عن الهدف: عدل عنه»
لسان العرب

يا الذي
في الهادئينَ ارتبكا
وجهُكَ الآن بوجهي اشتبكا

إنني أنتَ
كلانا لا يرى في الطمأنينةِ
إلا شَرَكا

وكلانا
تركَ القلبَ سُدىً
وتناءى ناسياً ما تركا

غير أني لي من الموجعِ في فشل الفكرةِ
ما ليس لكا

لي نزولي
عن بقايا فرسٍ حجريٍّ
من مسافاتي شكا

لي انتقالاتيَ في ألف فمٍ
حدّ أن أصبحتُ معنىً منهكا

لي انفصاماتيَ
إذ لستُ أرى في التراجيديّ إلا الضحكا

لي كآباتُ وجودٍ لن يُرى
وأسى ماهيّةٍ لن تُدركا

لي دمٌ خُيّرَ:
أنْ يُلبسَ في أرجلِ السلطةِ أو أنْ يُسفكا

لي انهماكي في تقصي جسدٍ فائرٍ
في الشهوات انهمكا

لي ثلاثون صراخاً هي من أورثتني صوتيَ المنتَهكا

لي هوىً سمّيتُه منتزهاً
ثم سمّى نفسه معتركا

يا الذي قدتَ الحكايات
إلى الوحي في ذروةِ ما الله حكى

طالتِ الشكوى
وإن كان الأسى
أنّ ما بي ليس مما يُشتكى

من هنا والآن
أرجوك
إلى سرّكَ الوهّاجِ خذني معكا

عافني من طول نصٍ
لم أكن فيه إلا هامشاً مستدركا

وعلى ليلي أعني
إن لي قمراً
مستنزَفاً
مستهلكا

ثم علمني أُصلّي شهوةً
أنا ما زلتُ أصلّي نُسكا

وعلى نفسيَ حرّضني
أكنْ كبكاءٍ لم يسامح من بكى

قفْ معي ضدَّ العموميّ
وقلْ:
خالصاً يا موتُ لا مشترَكا

الخطأ

«الندم: الأثر»
لسان العرب

تدفّقي تدفّقي ما شئتِ يا نافورةَ الرماد
ولتلمعي يا وردةَ النحاس
فليس حولي الآن إلا لحظةُ الحِداد
تحتلُ مني كاملَ الحواس

بالنرجسِ المذعورِ من مرآتِه
بالعار كاملاً..
وبالسقوط معلناً عن ذاتِه:
ألوبُ في خطيئةٍ تجلُّ عن غفرانِها
خطيئةٍ من بعدها كلُ الكلام دمْ
للصمتِ أنتَ يا وقوفيَ الطويلَ في مذابحِ الندمْ

بالجارحِ المهتاجِ من تفلّتِ الدخانِ والدموع
رثيتُ قامتي التي يا طالما نصبتُها سقفاً لأعلى الريح
ثم ذاتَ غفلةٍ هدمتُها
فيا له من خزفٍ مبعثرٍ في مسرحِ الركوع

لا ريب
فيما تفعلُ الشهوةُ في الهشاشةِ المقابلة
معاً معاً في داخلي
يشكّلان عائلة
لا ريبَ فيما يفعلُ البريق
من بعد عمرٍ كاملٍ قضيتُه من دون أن أبتلَّ
ها أنا الغريق

تراجعي غمامةَ الأعذار والأسبابْ
الآن منذُ الآن صرتُ مثلَ الآخرين
مثلهم
تشدُّني لطينيَّ الأنسابْ

وأنتَ
يا كماليَ المصابَ في صميمِ كبريائه
الآن
منذُ الآن لا كمالْ
ستأخذُ الجنوبَ من طريقنا
وآخذُ الشمالْ

قد كنتَ لي
قبل الخطيئةِ التي لن تُغتفرْ
إن كنتُ قد سمّيتُ نفسي فارساً قبل اندلاع المعركة
فها أنا أصحّحُ المعنى الذي تعبتُ حتى أدركَه:
لا حظَ للكمالِ في الكمالِ
إن لم يُختبرْ

والآن يا مدائحَ الرجوعِ للعاديّ
يا تبخّرَ الأسطورة السريعَ
يا تمامَ حصةِ التمثالِ
من ترنّحاتِ المطرقة:
أنا الذي خسرتُ وجهي كلّه
وكلُ ذاهبٍ للموتِ جاء
كي أدلّه
أنا الذي أصبحتُ مثقلاً بخبرةِ السقوط من علٍ
إلى اللقاء
يا حدائقَ البراءةِ المعلّقة

خلاف شخصيّ مع الوقت

«الدهر: النازلة»

لسان العرب

كم أنتَ

تتخذُ الهواءَ ملامحا

وتزورُني

لا غامضاً لا واضحا

ملكُ الشفافيّاتِ

إذ تأتي ولا تأتي

وتتركُ في المكانِ روائحا

لكَ فيّ عاداتٌ

وأصبحَ دائماً متصالحاً معها دمي

متصالحا

منها تسارُعك الذي ينتابُني برقاً

ويعبُرني

حصاناً جامحا

هذا ونزفُك فيّ
أصفرَ موحشاً
في مثل نزفِ البحر
أزرقَ مالحا

حتى أسى التوقيت
ثمة دائما خطآن بينهما أظلُ مُراوحا:

خطأ التسرع
يا تسرعي الذي لمس المكانَ مهاجراً لا سائحا

خطأ التأخر
يا تأخري الذي منعَ المراثي أن تكونَ مدائحا

يا وقتُ
يا موتي الذي يختصني
وبلا دمٍ يمتدُ فيّ مذابحا

يرتدُ شرحي عنكَ
لحظة لم يزل معناكَ من معناكَ يطلبُ شارحا

عدّادُ ماذا أنتَ؟
حولي لا أرى إلا السكونَ
ملوّحاً ومصافحا

لا وحيَ يكشفُ لي الأعالي
لا مدىً ما زالَ في أفق الكتابةِ صالحا

لا روحَ في الروحيّ تجري
كي أرى معنايَ يصعدُ في المآذنِ صادحا

لا حكمةً قبل المقابر
باسمها قد يبعثُ الموتى إليّ نصائحا

لا فارساً بينَ الملوك
يسيرُ بي ليدّقَ أبوابَ المدينة فاتحا

لا مُستعاداً في الأغاني
لا رؤىً تكفي ليفتتحَ الخيالُ مسارحا

لا رجفةً بين الضلوعِ
ولا هوىً آتيه مجروحاً
وأذهبُ جارحا

يا أنت يا وقتي
ويا الحمّى التي منها أحاولُ أن أقومَ مكافحا

دعني أراكَ
فإنني ما زلتُ في رؤياكَ أشكو النقصَ
نقصاً فادحا

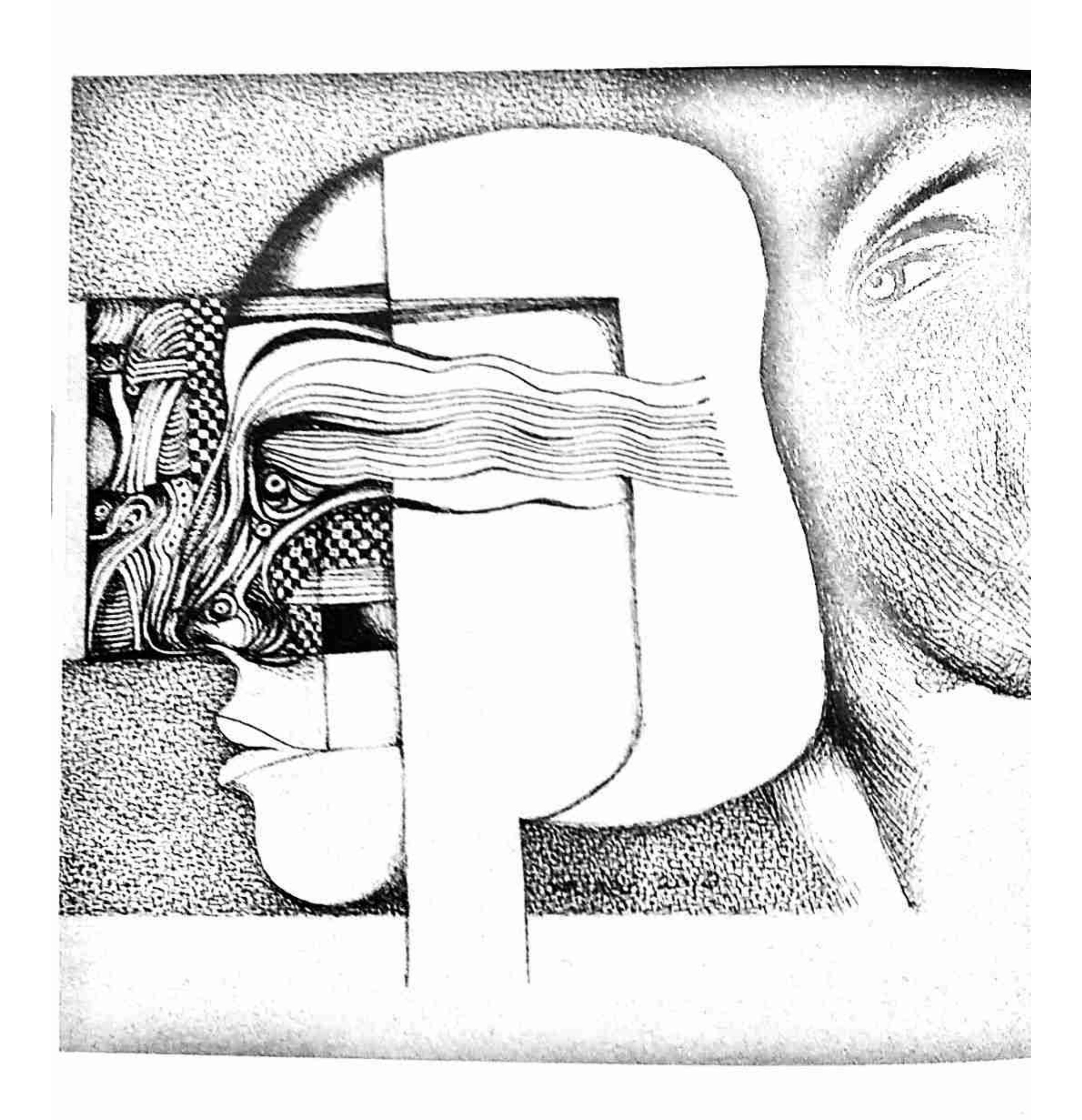
أرجوك كنْ
قصراً يدلل مترفاً
أو خيمةً تؤوي إليها نازحا

كنْ ما أردتَ خسارةً، ربحاً
فكم علّقتني لا خاسراً لا رابحا

كنْ لي
وإلا من غيابكَ واسني بجنازةٍ
ليستْ تضجُّ نوائحا

ما عدت أحتملُ الوجودَ
أنا أرى في كل أشكالِ الوجودِ
فضائحا

هو / هي
(أزرق يخسر علوّه)



حبٌ مصابٌ بالسفر

«جفا الشيءُ: لم يلزم مكانه»

لسان العرب

ولي من لانهائيّاتِ موتي
ثلاثتُها:
عيونكِ
والرحيلُ

أحبكِ
لكن البدويَّ مني
يميلُ مع السحابةِ إذ تميلُ

سُلالاتٌ هي الطرقاتُ مهما تناءت
والسليلُ أنا السليلُ

لقد حاولتُ أن أنشقَّ عنّي
ليسكنَ فيكِ تطوافي الطويلُ

ولكنّي أنا سفري،
تماماً كما أنَّ الحصانَ هو الصهيلُ

أُعدّدُني ثلاثينَ اغترابا
ويسقطُ من وجوهي الآن جيلُ

ولم أصل المنازلَ بعدُ مما أريدُ ولا تناهى بي السبيلُ

أحبكِ
غير أني كنتُ مني
أُطّلُ على الحياةِ
ولا أُطيلُ

هناكَ
هناكَ في الشفقيّ
فيما وكانت كل شمسي
تستقيلُ

تراءى لي هواكِ
كما تراءى لمختنقٍ
هواءٌ مستحيلُ

فيا وطناً من الراحاتِ
نادى عليّ
الهائلُ
الخطِرُ
الجليلُ

هو الآن التحركُ
نحوَ ألفٍ من الغرباتِ
يعرفُها الدليلُ

سأذهبُ
لا استراحت من ضلوعي مداخنُها
ولا بردَ الغليلُ

ولا حرّرتُ صوتكِ من حمامٍ
نأى عني
ليتسعَ الهديلُ

ولا استقصيتُ وجهكِ
وهو يجري به سربُ الفراشاتِ الجميلُ

ولم أتبع سطوعكِ في مرايا تدوخُ
وفي ثُريّاتٍ تسيلُ

ولا وحدّتُ في معناك ذاتي
فنصفي قاتلٌ
نصفي قتيلُ

وحتى
لم يقلكِ فمي تماماً
فأنتِ كثيرةٌ
وفمي قليلُ

تاريخ عاديّ لامرأة غير عاديّة

«العَشَقة: شجرةٌ تخضر ثم تدّق وتصفر، وزُعم أن اشتقاق العاشق منها»

لسان العرب

هي وحدها امرأةٌ
وتعطي الماءَ فرصتَه ليصدقَ في السرابِ

من يومها كانتْ هناك
عنيدةً كالمستحيلِ
جميلةً كالسيفِ
جارحةً كذكرى الغائبين
وحرةً كالأغنياتِ على السفوحِ
وجادةً كالمنتهى من شمسِ آبِ

منذ البدايةِ كانتَ امرأةً
تحاصرُ ما تمرّدَ من أنوثتِها
لتخفي الرائعَ المغرورَ من هذي الأنوثةِ بينَ أقواسِ الضبابِ

تحمي ألوهتَها من الشُبهاتِ
بالصمت الجليلِ
وبالعلّوِ وبالغيابِ

ولأنها كانت تريدُ الذاتَ سالمةً تماماً
من خدوشِ الآخرين
تعودّتْ ألا تساومَ في حراسةِ منزلٍ
من دون بابِ

لكنها قالتْ لبرقٍ خاطفٍ في القلبِ: أهلاً
حينما نظرتْ إلى رجلٍ
رأته على الموازي من طريقِ خروجها عن روح هذا العصر
يحملُ - مثلها - رفضَ القصيدةِ كلَّه
في وجه أزمنةِ الخرابِ

هي لحظتانِ
وقررتْ أن تُنقذ القمرَ المحاصرَ بالغبار
وأن تُريحَ هروبَها منها قليلاً
قررتْ أن تمنحَ الرجلَ المفاجئ فرصةً
نسيتْ يديها في يديه

وسمّتْ الفيضانَ في عينيه
تعويضاً لها عن كل تاريخِ الجفافِ
وسلّمته قلاعَها السريّةَ الحمراءَ
حين استأمنته على مواطنِ ضعفها
وشكتْ إليه صبابةَ الخطأ التي من بعدها
لم تقترفْ حتى صباباتِ الصوابِ

فرشتْ له سجادتينِ أنيقتينِ من الكلامِ
ورنحّتهُ على حبالِ تشهيينِ
وقاسمته نصيبَها البريَّ
من روحٍ مليءٍ بالحمامِ
وثُمَّ من جسدٍ مليءٍ بالذئابِ

حملا معاً ما شفَّ من لونيهما
وتداخلا في عشر لوحاتٍ من المدنِ الغريبةِ
فيك يا روما القياصرة القدامى
يا كرستالَ الغروب أمامَ قوسِ النصر في باريس
يا غرناطةَ القلبِ المجرّحِ بالهواءِ الحادِ
يا أعلى الشمالِ الأردنيّ
متوّجاً بالمستهلِّ من القرنفلِ في الروابي

فيما وكانت تطلبُ الأبديَّ
باغتها المؤقتُ
فجأةً كسرَ الهواءُ زجاجةَ الليلِ المؤجّلِ
حينها رأت الظلامَ الموحشَ السيّالَ
يقسمُ نفسَه
في أسودينِ من البرودةِ والفراغِ
كلاهما يُفضي -على حدةٍ- إلى جهةِ اغترابِ

وتذكرتْ -أثناءَ ما كانت تؤرَخُ سيرةً للشرخ-
أنهما ومنذُ اللحظةِ الأولى لهذا الحب
قرر عنهما قدرُ التوازي المستبّدُ
وحيث ليس بوسعها الطرق الموازية التوحد
لم تعد إلا الصداقةُ وحدَها
فلتندلعْ في القلبِ
أجراسُ الذهابِ

من يومها

وهناك سيدةٌ تلملمُ ليلَها

مشغولةٌ جداً

بتحرير الأغاني من معانيها

وجرّ الذكرياتِ إلى أماكنها من النسيانِ

سيدةٌ

وتُطفئ قلبَها

أثناءَ إطفاءِ الشموع

وتُرجعُ الآن القناعَ لوجهها

أثناءَ إرجاعِ النبيذِ إلى الخوابي

تقرير الوحشة

«رماد مكتئب اللون: إذا ضرب إلى السواد»

لسان العرب

وجهَها
يا نازفَ الفضة
في ليلةٍ مجروحةٍ
بالأنجمِ

إنني بعدكَ بحثُ الظلِ عن نفسِه
بين حدودِ المعتمِ

صوتَها
يا سربَ موسيقى
على أفقٍ منفلتٍ في النغمِ

إنني بعدكَ صمتٌ مبهمٌ يتعالى من ضريحٍ مبهمِ

قلبَها
يا كلَّ ما شجّعني
كي إلى أخطرِ موتٍ أنتمي

إنني بعدكَ قلبٌ خزفٌ هاربٌ من حجرٍ مرتطمِ

***

بالكرستال
تشظى كلُّهُ كلُّهُ في وجهيَ المنقسمِ

بانشقاقي
رايةً سوداءَ في رافضٍ
بيضاءَ في مستسلمِ

بهدوئي بانفعالي
بالأسى الباكي
وحتى بالأسى المبتسمِ

وبإطلالي على النسيانِ
من شرفةٍ في متحف للألمِ

كم وكم حاولتُ من فقدي لها
من شجا فقدي لها أن أحتمي

بالعمى ثرتُ على أطيافها
وعلى أصدائها بالصممِ

وتشاغلتُ
لكي أفلت من دوراني بعدها
في السأمِ

وعلى كل فمي حرّمتُها
غير أني خانني فيها فمي

***

حالماً بالضفةِ الأخرى
وكم يحلم الفارغُ بالمزدحمِ

أشتهي لو ظلَّها فيّ
كما تشتهي الحفرةُ ظلَ السُلّمِ

أشتهيها
لمسةً موغلةً في حرير الرغبةِ المنسجمِ

حُلماً حراً من التأويل
إن أفسد التأويلُ
معنى الحُلمِ

سيرةً ذاتيةً
تمتدُ من قلبيَ الطفلِ
لقلبي الهرمِ

وردةً تعبدُ من حريةٍ نفسَها
قُربَ
سياجٍ محكمِ

وهواءً ملحمياًّ
باسمه تتوالى خفقاتُ العلمِ

***

يا دمي
لستُ أساويكَ سوى بالتي لا اسمَ لها إلا دمي

هي ما أفتتحُ الآن به
فقرتي في مهرجان الندمِ

إن نأتْ عني
فمنأى قمةٍ
عن مصابٍ برهاب القممِ

الغوايات كلها

«الفتنة: الفضيحة»

لسان العرب

جسدٌ جسدُ
إذ يقتربُ الآن حواسٌ خمسٌ تذهلُ
ثمّ حواسٌ خمسٌ أخرى تذهلُ
إذ يبتعدُ

مغروساً في الشُبهاتِ الغجريّةِ
يعوي..
ممسوساً بالخيلِ أوانَ الركضِ إلى الحريّةِ
ينفرُ..
محروساً بالأبوابِ السبعةِ للحمّى
يتقدُ

لا تعرفُه العزلةُ
إذ لا يدخلُ أيَّ مكانٍ إلا في وفدِ غرائزَ
فهو الفردُ
الفردُ المحتشدُ

كم يتفجّرُ
كم يتكثّرُ
لا يُمسكُه الشكلُ
ولا يُحصيه العددُ

شفقٌ
يخفتُ في الشفتينِ
وقوسٌ ناريٌّ يتحفّزُ ما بين النهدينِ
بحيرةُ لبنٍ متعبةٌ تتراخى في السُرّةِ
رغوةُ قمرٍ مخضوضٍ
في عشر أصابعَ
ترتعدُ

جسدٌ شرسٌ كالعاصفةِ
صريحٌ كالشمسِ اللاتينيّةِ في الصيفِ
نهائيٌّ كالموتِ
فلا ينجو من سطوته أحدُ

جسدٌ
لستُ أريد الآنَ
سوى أنْ يمزُجَني بالصندلِ فيه العَرقُ المتحدُ

لستُ أريدُ سوى
أن أدخلَ فيه ولا أخرجَ
أن أعلقَ في دائرةِ الشهوةِ
حيث أواصلُ عملي
عملي أن ينصبني الموجُ عليه
وأن يرخيني الزبدُ

الشّبابيك في سهرها الأخير

«البُعد: الهلاك»
لسان العرب

تعالي قاسميني ما تبقّى
كما يتقاسمُ الأمواجَ غرقى

بأشجى ما به يَبكي نحاسٌ ويُبكي
آخرُ الأجراسِ دقّا

ستحملنا الجهاتُ على يديها
لتنفضنا غداً غرباً وشرقا

سيُخرجُنا من الوقتِ التخلي
ليهدرَنا مع التوقيتِ فرقا

غداً سيكونُنا شجرٌ تناءى وراء الوهمِ
بالنسيانِ يُسقى

فيا من كنتِ
مما كنتُ أعلى
ويا من كنتِ
مما كنتُ أنقى

لموّال البدايةِ أرجعيني
فوجهكِ كانَ في الموّالِ طلقا

هناكَ وأنتِ في تشرينَ
وهمٌ تواضعَ مرتين
فصارَ حقّا

لأولِ وهلةٍ
- وأنا اشتباهٌ توسّمَ في دمشقيٍّ دمشقا -

ظننتُكِ فكرتي
وشككتُ أني سهرتُ عليكِ تكويناً وخَلقا

هناكَ
وأنتِ تقترحين موتاً وجوديّاً عليّ
وليسَ عشقا

هناكَ
جلستُ للوثنيِّ مني
وفاوضتُ الحجارةَ كي ترقّا

ومن حريتي حررتُ نفسي
كصقرٍ لم يعد يحتاجُ أفقا

فيا بنتَ الجبالِ السبعِ
إني سألقى في غيابكِ ما سألقى

خروجي منكِ
سوف يكونُ جرحاً يريدكِ
ما أرادَ الجرحُ عمقا

غداً سأكونُ كالتابوتِ قلباً
وكالبالي من الراياتِ خفقا

كآلهة الخرافيين سمعاً
ككل الماورائياتِ نُطقا

كما قبل البكاءِ أسىً
وتيهاً كما بعدَ القصيدةِ حين تُلقى

فيا سلمى التي لا شكَ فيها
وغيرُكِ يستوي
كذباً وصدقا

أنا بكِ في المجانين القدامى
بأولِ ما تيسّر منكِ أُرقى

عديني أنْ سنلمعُ في حياةٍ موازيةٍ لنكمل ما تبقّى

هنالكَ حيثُ تمنحني الأعالي سلالمَ
كي إلى عينيكِ أرقى

وحيثُ أقولُ في الأبديِّ
إني أحبكِ سورةً نزلت لتبقى

وأما الآن والأرواحُ نقصٌ
وليست عروةُ الأيام وثقى

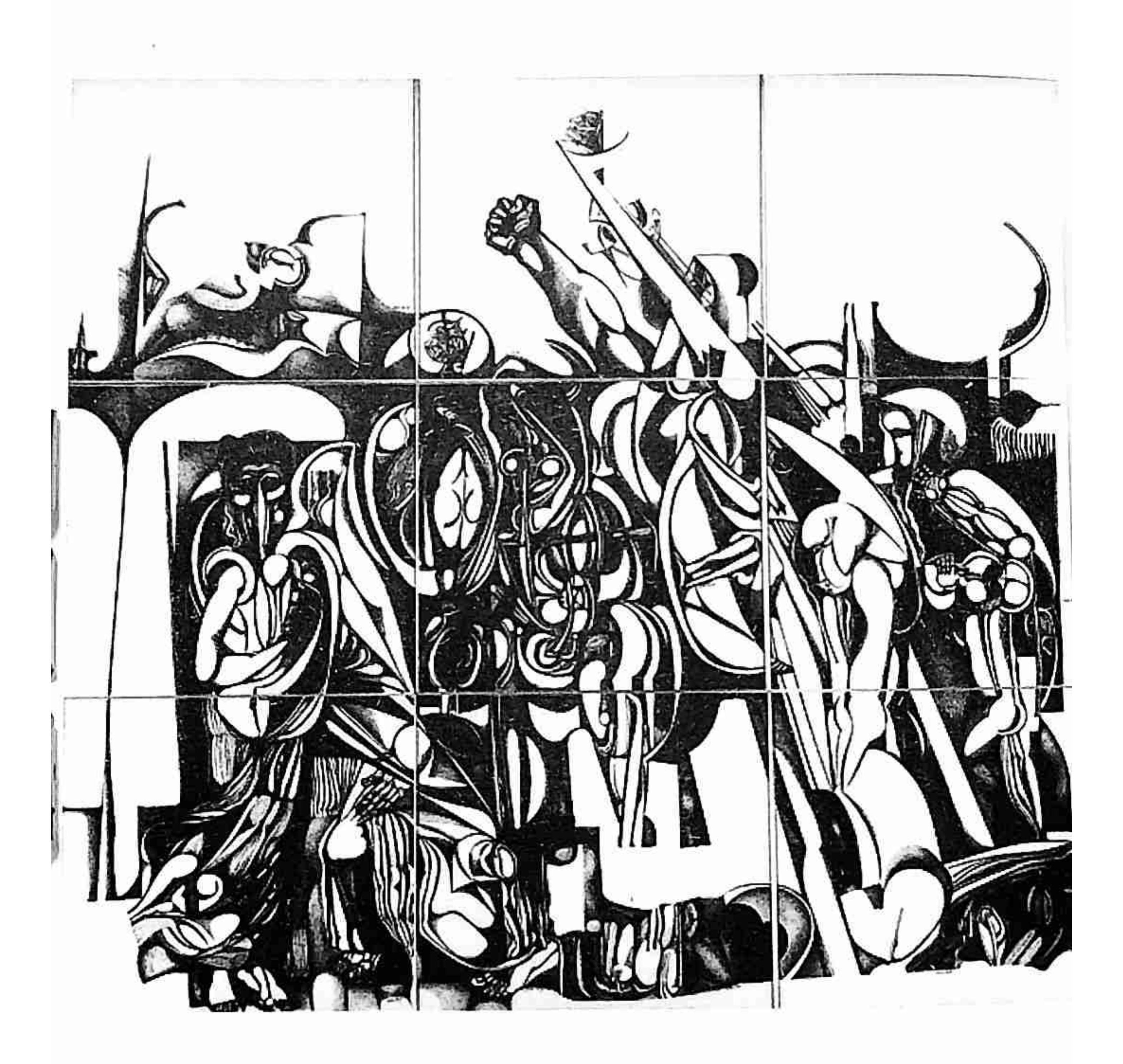
فللخطواتِ أن تمتد باسمي
وتسبقَ أول الطرقات شقّا

ستأخذكِ الرياحُ الآن مني
ويا كم يأخذ الأقسى
الأرّقَا

ولكني وعدتُ
بأن أوالي زيارةَ قصركِ الليليِّ برقا

له أن يغلقَ الأبوابَ دوني
ولي أن أوجعَ الأبوابَ طرقا

هو/هم
(أزرق يخسر سعته)



نشيد الصعاليك

«الخارجيّ: الذي يخرج ويشرفُ بنفسه من غير أن يكون له قديم»
لسان العرب

وفي البدءِ
أوصيك بالخاسرين
الذين يرونَ الخسارةَ فنْ

أساتذةِ الوحشةِ المدهشين
احتفاءً بهم
موحشُ الليلِ جنْ

شفافيتانِ لهم:
فكرةٌ ولا شيءَ منها على البالِ عنْ

وموتٌ تُصابُ الموسيقى به إذا وترٌ في الكمانِ اطمأنْ

فقلها مُضاءً بأسبابهم:
إذا لستَ لي يا أسى فلمن؟!

ودقّ بنقصك أبوابَهم
كما دقّ بابَ الحقيقةِ ظنْ

هم الآن في غربتيْهم
ملوكُ الصدام مع الواقعِ الممتهنْ

يشذّون
عن كل ما يُحتذى
يشكّون
في كل ما يُؤتمنْ

ويا كم تضيقُ المنافي بهم
وأولُ هذي المنافي الوطنْ

صعاليكُ
لا يأخذون الحياةَ على محمل الجد حتى وإن...

وليست لهم من عناوينَ
هم رفاقٌ لذئبِ الرحيلِ المسِنْ

بهم لا تشرُّدَ إلا ومُدَّ
ولا بيتَ في الريحِ إلا سُكِنْ

ستعرفُهم من خلال الوجوهِ
الوجوهُ طقوسُ قبيلةِ جنْ

هم الآنَ تعويذةٌ يُتقى بها والذي لم يقلها لُعنْ

وتنهيدةٌ للقلوبِ النعوشِ
القلوبِ التي نسيتْ أن تئنْ

شيوخي وأعرفُهم
مرهقونَ من النومِ فوق الوجودِ الخشنْ

وأهلي
وأعرف قلبي الذي لغير منازلهم لا يحنْ

بميزانهم
-إذ تماماً تكون المبالاةُ في اللامبالاة -
زِنْ

وحاولْ
بأعينهم أن ترى
وحاولْ
بأجراسِهم أن ترِنْ

فهم وحدهم مَنْ بأخطائِهم
مؤرخُ أخطائِهم قدْ فُتِنْ

شاهد قبر للزمان

«سُمّي السرابُ سرابا لأنه يسرب سروباً أي يجري جرياً»
لسان العرب

عصرٌ مريضْ
ممنوعةٌ فيه الجبالُ عن التعالي
والرياحُ عن التحركِ
والنجومُ عن الوميضْ

قبرٌ زجاجيٌ بحجم الأرضِ
تنتحبُ المنازلُ فيه
والصلواتُ تُمعنُ في التحلل بين أعمدةِ المعابدِ
والمسارحُ تنتجُ الأشباحَ
والطرقاتُ بالموتى تفيضْ

عصرٌ ويصغرُ أن يكون صديقَنا
حتى ويصغرُ أن يكون عدوّنا
ستظلُ مهنتنا الترفعُ عنه
عن كل الرماديّ المكثّف فيه:

مَنْ أمرَ الفراشةَ
أن تبيعَ نصيبها في اللونِ
عن كل الحديديّ المسنّنِ فيه:
مَنْ أمرَ الحمامةَ أن تعودَ جريحةً
وكلا جناحيها مهيضْ

الكلُ فيه
يعيشُ لحظةَ ما يعيشُ فقاعةً شبحيّةً صفراءَ
ثمّ الكلُ فيه
يظنُ لحظةَ يعبدُ السطحيَّ أنَّ البحرَ
بالغَ في حوار الذاتِ
ثمّ الكلُ
لحظةَ يحملُ المرآة فوق الظهرِ نرسيسٌ وسيزيفٌ معاً
يا صاحبَ التاريخ
إن تكن العصورُ لها نصيبٌ في العناوين العريضةِ
إنه الغثيانُ
عنوانٌ لهذا العصر
عنوانٌ عريضْ

هو بعضُ ما يبقى من الطرقاتِ تخذلها الجهاتُ الستُ
ما يبقى من الشهواتِ يخذلها دخانُ القلبِ
ما يبقى من الكلماتِ تخذلها رمالٌ في الدلالةِ
ثم تطويها من النصف الرياحُ
فلا يدّلُ على النقيضِ
سوى النقيضْ

لا فرقَ في الأسماء
قل هو عصرُ ما بعد الحقيقةِ
أو فقل هو عصرُ ما بعد الحداثةِ
أو إذا ما شئتَ
قل هو عصرُ ما بعد الحضيضْ

آخر الرايات

«احتجَّ الشيءُ: صَلُبَ»
لسان العرب

أيها الواحدُ
الحشودُ ستمشي لكَ
ممشى عناصرٍ لانصهارِ

ضوءُ عينيكَ وحده الآن كافٍ
لينافي
إعلانَ موتِ النهارِ

أنتَ
بدءُ التسارعِ الصعبِ
يُنهي جدليَّ الخلاصِ والانتظارِ

أعطني صحوكَ الذي لم يشاركْ
في احتفالاتِ مهرجانِ الغبارِ

أعطني صوتّك المسلّحَ
قمْ بي في مقاماتِ كسرِ هذا الحصارِ

من تشظي الزجاجِ والبرد
خذني وتقدّم
والقلبُ حافٍ وعارِ

الطغاةُ الصغارُ حولك
لكن أنتَ أعلى من الطغاةِ الصغارِ

لا تصدّقْ وعودَهم
فهي منهم شجرٌ واعدٌ بكل اصفرارِ

ضدّكَ الآنَ حربُهم تتأسّى بحروبِ الظلامِ ضدَ الفنارِ

وعلاقاتُهم بوجهكَ
تأتي من علاقاتِ معولٍ بجدارِ

ها هم الآن يخلقون انهياراً
ويُضيفونه لألفِ انهيارِ

إنها صفقةٌ
عدوّكَ فيها بائعٌ
مثلما عدوّكَ شارِ

فبِلاءاتِكَ الثلاثِ تمرّدْ
وتجذّرْ في الرافضينِ الكبارِ

المسوخ في صورة جماعيّة

«ماتت الخمرُ: سكن غليانُها»
لسان العرب

يا راجفينَ
أمام الدخانِ والبندقيّة

شدَّ الخرابُ عليكم أسوارَه الدائريّة

وأغلقتكُم
سجونٌ من الظلامِ خفيّة

أنتم حديقةُ موتى
تظلُ بالموتِ حيّة

حجارةٌ وتؤدي مهامهَا الوثنيّة

هُويّةٌ ليسَ فيها إلا عُصابُ الهُويّة

دمٌ يدوخُ
هوانٌ يشكو لغير حميّة

وشدةٌ
-يا لعَودِ التاريخِ-
مستنصريّة

خاوونَ أنتمْ
كمعنىً
في لعبةٍ لغويّة

وبائسونَ
كردٍّ مفتّشٍ عن تحيّة

وباطلونَ
كمثل الصلاة
من غير نيّة

ولا تلبّون
حتى مواصفاتِ الضحيّة

فيلة سلفادور دالي

«تنفّست القوسُ: تصدّعت»

لسان العرب

نريدكِ
يا كلَ حصتِنا في السكوتِ
لأنَّ الكلامَ يخونْ

نريدكِ
يا كلَ رغبتِنا في الهروبِ من الحبِ
لا حبَّ إلا وحيث القلوبُ مسيّجةٌ بالمراراتِ
حيثُ مشقّقةٌ بالدموعِ العيونْ

نريدكِ
يا كلَ فكرتنا عن طبيعةِ ما في الحقيقة من ضدها
إنما تتناسلُ في المكتباتِ رفوفُ الظنونْ

نريدكِ
يا كل عزلتِنا في دوائرَ سبعٍ من الأرضِ
لسنا بحاجة مقهى بباريس
حتى نخمّن أنّ «الجحيمَ هو الآخرونْ»

نريدكِ
يا كلَ ردّتِنا عن تطلّبِ حريّةٍ غير موجودةٍ
فالسلاسلُ شفافةٌ في الأيادي
ومفتوحةٌ في الهواءِ السجونْ

نريدكِ
يا كل نزعتنا للحفاظِ على غيمة الفقرِ
هذي الطريقُ إلى ذهبِ الروحِ
ممتدةٌ حدّ أنْ لا نهايةَ
نحتاجهُا ألفَ فنٍّ لنعبرَها
والتخفّفُ
سيدُ هذي الفنونْ

نريدكِ
يا كل شهوتنا للتساقط
ما من خريفٍ يحاولُ أن ينجزَ الآن إلا وأشغالُه نحنُ
ليسَ الغصونْ

على الضد من كل هذا
نريدكِ يا كل فرحتنا بالحياة
سعيدونَ نحنُ
بأن نتخلّفَ عن حفلاتِ الحفاوةِ بالعدميّ
ففي آخر الأمر
في المنتهى
يا لها
من مغامرةٍ أن نكونْ

أغنية للوطن والعاصفة

«الأرض: الرعدة والنفضة»

لسان العرب

صدى لأصوات ثورة ديسمبر التي أطاحت بنظام الإنقاذ

من سدة الحكم في السودان.

يا بلادي
ليس إلا فيكِ
يرتاحُ زواجُ الضوءِ والظلِ
عروقُ الشمسِ في سُمرِ الوجوهِ الآن
بعضٌ من عروقِ الشجرِ النابضِ في سُمرِ الأيادي

يا بلادي
مجّد اللهُ اختلافاً فيكِ
أعفانا من التحديقِ في أفقٍ سواك
وأراحَ الروحَ من عبء المحبّاتِ
ففي الأعماق منّا لا هوىً إلا هواك
ليس إلا أنتِ أو ينفلتُ الوحشيُّ
ما بين فراغاتِ الفؤادِ

يا بلادي
لستِ تحتاجين تعريفاً
فأعفي العَلَمَ الرمزيَّ من طولِ الوقوفْ
زبدٌ كلُ حماساتِ النشيدِ الوطنيّ المتداعي
فلتغني بدلاً منه سجاياكِ التي جلّت
فلم تصعدْ لها حتى الوصوفْ
وأحيطي سِرَّكِ العالي بما للجبلِ الراهبِ من كل انفرادِ

يا بلادي
والقداساتُ بناتُ الماء
والماءُ رسولُ اللهِ للعالم
والعالمُ من غيركِ أمطارٌ مُدلاةٌ من الأفق
ولكن لم تصل حدَّ الهطولْ
عطشُ الأرضِ - وممتناً لنُعماكِ - يقولْ:
أنتِ - ليس البحرُ - من موّلَ أعمالَ الغمامِ
إنما الأزرقُ والأبيضُ ظلانِ لنيلٍ يسكنُ الأرواحَ،
أرواحَ أهاليكِ الكرامِ
فليدمْ منكِ امتدادُ الماء في كلِ امتدادِ

يا بلادي
نجمةٌ تلمعُ في كونينِ مجهولينِ
كم تشبه معناكِ
وكم ترفعُ أشواقَ الكلامْ
في لياليكِ الليالي صلواتٌ وأغانِ
فالموسيقى فيكِ من جُرحٍ خماسيٍّ تُعاني
والأباريقُ وضوءٌ لا ينامْ
ونهاراتُكِ ساعاتٌ
أهلّت بالمصفّى من خُلاصاتِ العناصرْ
عرقٌ فذٌّ تَلاقى فيه
أستاذٌ وفلاّحٌ وصوفيٌّ وثائرْ
ونمتْ منه أناشيدُ الحصادِ

يا بلادي
أنتِ والتاريخُ طفلانِ
معاً فاضا بأسرارِ الولاداتِ اليتيمة
القدامى نحنُ أبناؤكِ
هاتيكَ أساطيرُكِ يا (كوشَ) القديمة

في نهاياتِ الحزامِ المطريِّ الصيفِ
في الخامسِ من أفرُعِ شلّالكَ يا نيلُ
تجذّرنا وقلنا:
الآن فلتبدأ مواقيتُ الحضاراتِ العظيمة
وصعدنا بشعوبِ الله
والقمةُ طارت تتبنّى كل وادِ

يا بلادي
حبكِ القاسي كتابٌ من عذاباتٍ جليلة
الثلاثون جداراً سقطت
والفجرُ والحريةُ الآن على الباب
ودون البابِ حشدٌ من جسارات الدماء المستحيلة
عدتَ يا ديسمبر الشعبِ إلى ديسمبر الأولِ
والشارعُ أفضى لصدى أكتوبر
المنقوش في باب الخلاص
ومشى إبريلُ ما بين الهتافات وما بين الرصاص
كم تسلسلنا
وأجيالاً توارثنا نشيد الموتِ في عينيكِ
بدّلنا طقوسَ الفقدِ، بشّرنا وزغّردنا
وجاء العرسُ من أقصى مقاماتِ الحدادِ

يا بلادي
والخساراتُ سُلالاتٌ تمادت دونَ حدْ
جزرُكِ الراهنُ مَدْ
كلنا نعرفُ أن الزمنَ الصعبَ
يحيطُ الآن بالأنفاسِ
لكنّا سنلقى الزمنَ الصعبَ عناداً بعنادِ

يا بلادي
لك كل الوعدِ منّا
سوفُ ننهارُ لكي نبنيكِ، نبنيكِ دويّاً وشعاعا
فاطمئني، ودعينا باسمكِ المطلقِ نجتازُ الصراعا
إنه صوتُكِ فينا
وله مستقبلٌ غير التلاشي
إنها نارُكِ فينا
ولها مستقبلٌ غير الرمادِ

الشهداء

«ضحّى عن الشيء: رفق به»

لسان العرب

نُعاتبهم
في أنهم حين شذّبوا
زوائدَ ما في العمر
جاءوا ليذهبوا

نفكّرُ فيهم
كيف مروا بنا
ومن خلال فراغاتِ الوجودِ تسرّبوا

نفكّرُ
هم - بين المضيئين-
وحدهم من ارتطموا بالشمس ثم تشعّبوا

نفكّرُ فيهم
موتُهم متقنٌ
كأنْ لعدّةِ مرّاتٍ عليه تدرّبوا

بلا موعدٍ ننتابُهم في مكانهم من الأفق
حيث الأفق أعلى وأرحبُ

يلوحونَ فينا من شبابيكهم
وهم يقولون: لا تبكوا علينا وتندبوا

ولا تشرحونا
فالخلاصاتُ دائما تُريحُ
كما أن التفاصيلَ تُتعبُ

ولا تتبعونا بالأناشيدِ
إننا لنا وحدنا في موكب الصمت موكبُ

ولا تكتبونا
دائماً كل فكرة تُقاد إلى زنزانةٍ حين تُكتبُ

بهذي الوصايا راوغونا
وواصلوا الرحيلَ الذي
إذ شرّقوا فيه غرّبوا

وسدّوا الطريقَ الدائريَّ لحزننا عليهم
ومن كل المراثي تهرّبوا

***

بهم للخلودِ الآن حقُ البقاء
في القصائد تُتلى
في التماثيل تُنصبُ

نعم
أخذونا للنهاياتِ كلها
على أنهم ظنَّ النهاياتِ خيّبوا

فقد كسروا ضيقَ الثنائيّ
إنهم تماماً تماماً حاضرونَ وغيّبُ

يزفون من وجه الغريب دخوله
إلى كرمِ الأبواب حين تُرَحِّبُ

ويُعطونَ ما يُعطي:
السنابلُ تنحني لتأكلَ منهم
والينابيعُ تشربُ

يخفّونَ في طيشِ الأراجيحِ
حينما تخفُّ إلى حيث الطفولة تلعبُ

ويُهدون للغفران غفرانَه
إذا تجاوزَ من تابوا قليلاً وأذنبوا

***

لقد أنقذوا المعنى من الموت
حين في رجوعِ دمِ المعنى إليه تسببّوا

ملوكُ ارتجال المشهد الصعبِ
أبدعوا النصوصَ الأعالي دون أن يتأهبّوا

وسادةُ إنكارِ الذواتِ
برغم أنْ إليهم مرايا النرجسيّين تُنسبُ

وكم هدموها سلطةَ الوقتِ
حينما بحريّةٍ
عن طاعةِ الوقتِ أضربوا

وأيضاً أدانوا في المكان انزواءَه المريبَ
وسرديّاتِه الستَ كذّبوا

عجيبون هم
من واحدين تكثّروا
يتامى تبنّوا
فوضويّين رتبّوا

مجانين أوحوا

نازفين تضاحكوا

حزانى تعالوا

ليّنين تصلّبوا

ولحظةَ قالوا: الآنَ يا بندقيّةً

على سابعٍ في المستحيلاتِ صوّبوا

وحين نظامُ العالمِ الوغدِ لم يرق لهم

هدّموا هذا النظامَ وخرّبوا

وضد اكتفاء الواقعيّ بنفسه

حشودَ مراراتِ المساكين

ألبّوا

وفيما يخص اللهَ والعالمَ الذي أضاعَ الألوهيَّ

المسافةَ قرّبوا

***

قف الآن يا نسيانُ
لن تستطيعَهم
فأنت وهم لا شكَ صعبٌ وأصعبُ

نعم
سوف نبقى يا شفافيُّ دائماً
لأرواحهم خلفَ الشفافيّ نهربُ

نمركزُهم
في العمقِ من وعينا
كما تمركزَ في وعي المداراتِ
كوكبُ

ونُقسمُ
بالعالي من الفضةِ التي تناهتْ إلينا
منذ شابوا وشيّبوا

سنغلقُ أبوابَ المواعيدِ بعدهم
فمن بعدهم كلُ المواعيدِ تكذبُ

إلى أن نلاقيهم هناكَ
سننتمي لهذا الذي من أجله
قد تغرّبوا

فنحن وهم والمنتهى من رحيلنا إليهم
كما غرقى وبحرٌ ومركبُ

نعم
بالمصفّى من فتوحاتِهم نرى
وبالفذّ من أسمائِهم نتقرّبُ

مناوبةً يا آخر الوقت
إننا نصلي عليهم
ما استراحوا وأتعبوا


تَشْكِيل
TASHKEEL